

حياة أعظم الرسل

محمد بنّي الرحمة

# مَحْمَدُ بْنُ الرَّحْمَةِ

كَانَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
مَعْرُوفًا بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ ، وَرِقَّةَ الْقَلْبِ ،  
وَطَيِّبَةَ النَّفْسِ ، وَالْعَطْفِ عَلَى الْإِنْسَانِ ،  
وَالرَّفْقِ بِالْحَيَوَانِ ، يُمَرِّضُ الدَّيْكَ إِذَا  
مَرِضَ ، وَيَفْتَحُ الْبَابَ لِلْقِطَّةِ إِذَا لَجَأَتْ  
إِلَيْهِ . وَقَدْ وَصَفَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ  
رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ . وَخَاطَبَهُ بِقَوْلِهِ :  
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .

## الرَّسُولُ وَالْأَعْرَابِيُّ :

جَاءَ أَعْرَابِيٌّ يَطْلُبُ مِنَ الرَّسُولِ شَيْئًا ،  
فَاعْطَاهُ ثُمَّ سَأَلَهُ : ( هَلْ ) أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ  
يَا أَعْرَابِيٌّ ؟ فَأَجَابَ الْأَعْرَابِيُّ : لَا ، لَمْ  
تُحْسِنْ . فَغَضِبَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ إِجَابَتِهِ ،  
وَقَامُوا إِلَيْهِ مُتَأَلِّمِينَ . فَأَشَارَ إِلَيْهِمُ الرَّسُولُ  
أَلَّا يَمَسُّوهُ . ثُمَّ قَامَ وَدَخَلَ مَنْزِلَهُ ،  
وَأَرْسَلَ إِلَى الْأَعْرَابِيِّ ، وَزَادَهُ شَيْئًا ، ثُمَّ  
سَأَلَهُ : ( هَلْ ) أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ  
يَا أَعْرَابِيٌّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَجَزَاكَ اللَّهُ  
خَيْرًا . فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ : إِنَّكَ قُلْتَ



مَا قُلْتُ ، وَفِي أَنْفُسِ أَصْحَابِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ . فَإِنْ أُحِبَّتْ فَقُلْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مَا قُلْتُ بَيْنَ يَدَيَّ ؛ حَتَّى يَذْهَبَ مَا فِي صُدُورِهِمْ عَلَيْكَ .

فَلَمَّا جَاءَ الْمَسَاءُ حَضَرَ الْأَعْرَابِيُّ ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : إِنَّ هَذَا الْأَعْرَابِيُّ قَالَ مَا قَالَ ، فَرِذْنَاهُ ، فَرَعَمَ ( قَالَ ) إِنَّهُ رَضِيَ . أَكْذَلِكَ ؟ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ : نَعَمْ ، فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا .

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَثَلِي

وَمَثَلُ هَذَا مَثَلٌ ( شَبَهُ ) رَجُلٍ لَهُ نَاقَةٌ  
 شَرَدَتْ عَلَيْهِ ( نَفَرَتْ مِنْهُ ) ، فَاتَّبَعَهَا  
 النَّاسُ ، فَلَمْ يَزِيدُوهَا إِلَّا نُفُورًا ، فَنَادَاهُمُ  
 صَاحِبُهَا : خَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ نَاقَتِي  
 ( اُتْرَكُوهَا لِي وَادْهَبُوا ) ، فَإِنِّي أَرْفُقُ  
 ( أَرْحَمُ ) بِهَا وَأَعْلَمُ . فَتَوَجَّهَ لَهَا  
 ( ذَهَبَ ) صَاحِبُ النَّاقَةِ بَيْنَ يَدَيْهَا ،  
 فَأَخَذَ لَهَا مِنْ ( حَشَائِشِ ) الْأَرْضِ ،  
 فَرَدَّهَا بِرَفِقٍ وَلِينٍ ، حَتَّى جَاءَتْ  
 وَاسْتَنَاحَتْ ( بَرَكَتْ ) ، وَشَدَّ عَلَيْهَا  
 رَحْلَهَا ، وَاسْتَوَى عَلَيْهَا ( رَكِبَهَا )

وَإِنِّي لَوْ تَرَكْتُكُمْ حَيْثُ قَالَ الرَّجُلُ  
مَا قَالَ ، فَقَتَلْتُمُوهُ دَخَلَ النَّارَ .  
فَالرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ  
الْمَثَلَ الْعَالِي فِي الْحِلْمِ ، وَالْعَفْوِ .

### النَّبِيُّ وَالْبَدْوِيُّ :

وَحَدَّثَ ذَاتَ مَرَّةٍ أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ يُقَسِّمُ  
بَعْضَ مَا غَنِمُوهُ ( فَازُوا بِهِ ) فِي الْحَرْبِ ،  
فَقَالَ رَجُلٌ بَدْوِيٌّ . يَا رَسُولَ اللَّهِ ،  
إِعْدِلْ .

فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ الْكَامِلُ :  
« وَيْحَكَ ! ( كَلِمَةُ رَحْمَةٍ ) فَمَنْ يَعْدِلُ

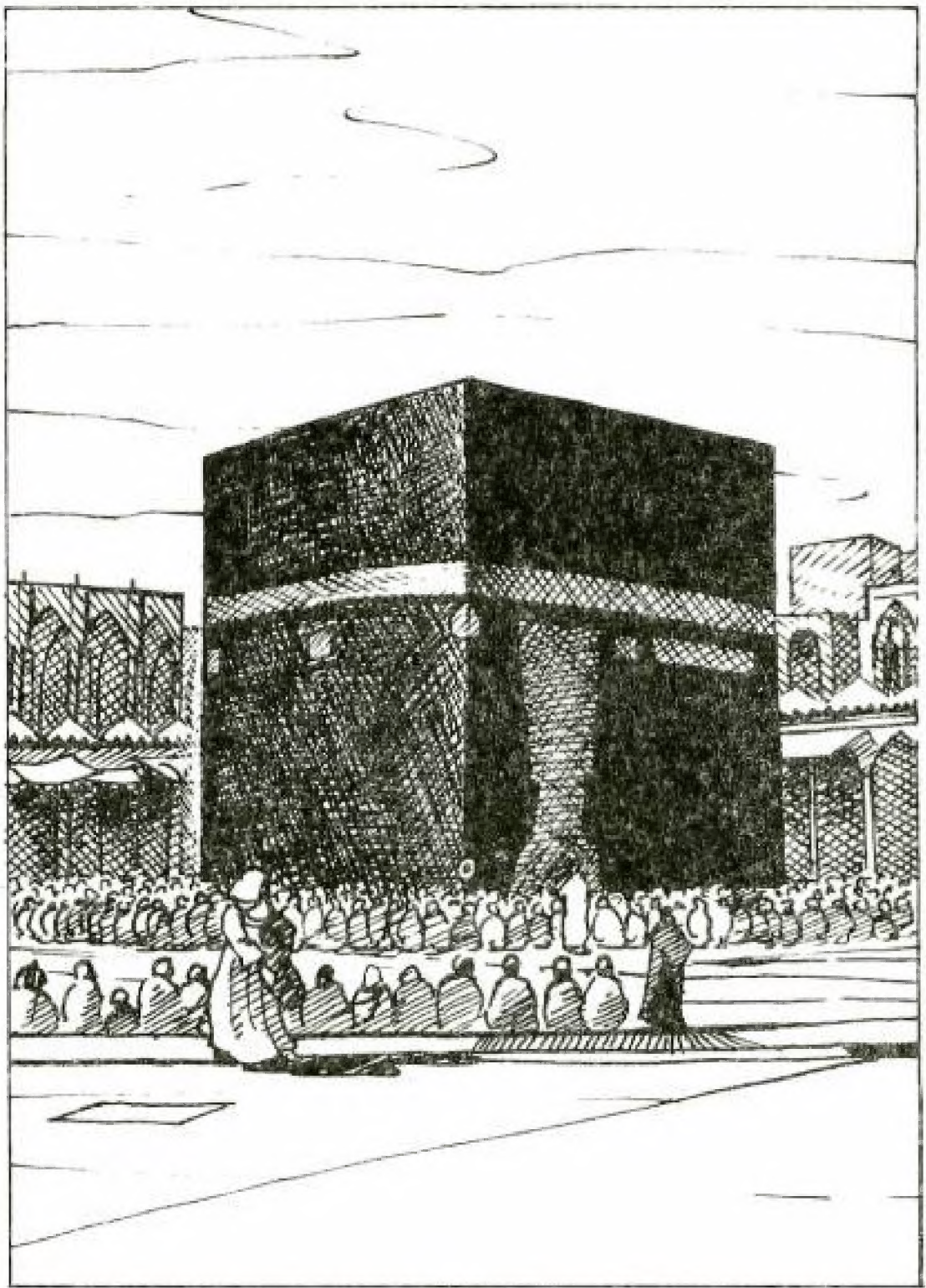


إِذَا لَمْ أَعْدِلْ ؟ فَقَدْ خِبتُ إِذَا وَخَسِرْتُ إِنْ  
كُنْتُ لَا أَعْدِلُ .

فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ :  
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ فَإِنَّهُ مُنَافِقٌ ؟  
فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَعَاذَ اللَّهِ  
أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنْيَ أَقْتُلُ أَصْحَابِي . »

المُصْطَفَى مَثَلٌ لِلرَّحْمَةِ :

كَانَ الْمُصْطَفَى مَثَلًا عَالِيًا لِلرَّحْمَةِ  
وَالشَّفَقَةِ بِالْمُسْلِمِينَ وَالْكَافِرِينَ ،  
وَالْأَصْدِقَاءِ وَالْأَعْدَاءِ عَلَى السَّوَاءِ ، كَثِيرِ  
الْعُطْفِ عَلَى الْمَسَاكِينِ وَالْفُقَرَاءِ . وَقَدْ



الكعبةُ المَشْرِقَةُ



وَصَفَّ الرَّسُولُ حَقِيقَةَ نَفْسِهِ بِقَوْلِهِ :  
« إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهْدَاةٌ <sup>(١)</sup> » .

وَقَالَ : « لَا تُنْزِعُ الرَّحْمَةَ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ » .  
وَقَالَ : « مَنْ يُحْرِمَ الرَّفْقَ يُحْرِمَ الْخَيْرَ  
كُلَّهُ » .

وَقَدْ عَمَّتْ رَحْمَتُهُ الْخَدَمَ وَالْعَبِيدَ .  
وَالْحَيَوَانَاتِ وَالطُّيُورَ ، فَكَانَ يَعْطِفُ عَلَى  
كُلِّ إِنْسَانٍ ، وَيَرَأْفُ بِكُلِّ حَيَوَانٍ .  
وَكَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ مُسَافِرِينَ مَعَ  
رَسُولِ اللَّهِ ، فَرَأَوْا عُصْفُورَةً ، مَعَها فَرَّخَانِ

---

(١) أَهْدَاهَا اللَّهُ إِلَى الْعَالَمِ .

لَهَا ، فَأَخَذُوهُمَا ، فَجَاءَتِ الْعُصْفُورَةُ  
تُرْفِرُفُ بِجَنَاحَيْهَا . فَلَمَّا جَاءَ الرَّسُولُ  
قَالَ : مَنْ فَجَعَ ( أَوْجَعَ ، آلَمَ ) هُذِهِ  
بَوْلِدِهَا ؟ رُدُّوْا وَلَدَهَا إِلَيْهَا .

النَّبِيُّ يَكِي :

ذَاتَ يَوْمٍ عَلِمَ النَّبِيُّ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ وَلَدٌ  
لِإِحْدَى بَنَاتِهِ ، فَسَقَطَتِ الدَّمُوعُ مِنْ  
عَيْنَيْهِ ، فَسُئِلَ . مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟  
قَالَ : « هُذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي  
قُلُوبِ عِبَادِهِ . وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ  
الرُّحَمَاءَ » .

وَفِي يَوْمٍ اِشْتَدَّ الْمَرَضُ بِسَعْدِ بْنِ  
عُبَادَةَ ، فَذَهَبَ النَّبِيُّ يَزُورُهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ  
عَلَيْهِ وَجَدَهُ فِي غَيْبُوبَةٍ بَيْنَ أَهْلِهِ . فَقَالَ :  
« قَدْ قَضَى ( مَاتَ ) ؟ » قَالُوا :  
« لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ » ، فَبَكَى النَّبِيُّ ،  
وَقَالَ : « أَلَا تَسْمَعُونَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ  
بَدْمَعَ الْعَيْنِ ، وَلَا حُزْنَ الْقَلْبِ ، وَلَكِنْ  
يُعَذِّبُ بِهَذَا » وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ .

مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الرَّحْمَةِ :

وَقَدْ عَلِمَ النَّبِيُّ بَعْدَ إِحْدَى الْمَوَاقِعِ أَنَّ  
صَبِيَّةً ( جَمْعُ صَبِيٍّ ) قُتِلُوا بَيْنَ  
الصُّفُوفِ ، فَحَزِنَ حُزْنًا شَدِيدًا ، فَقَالَ

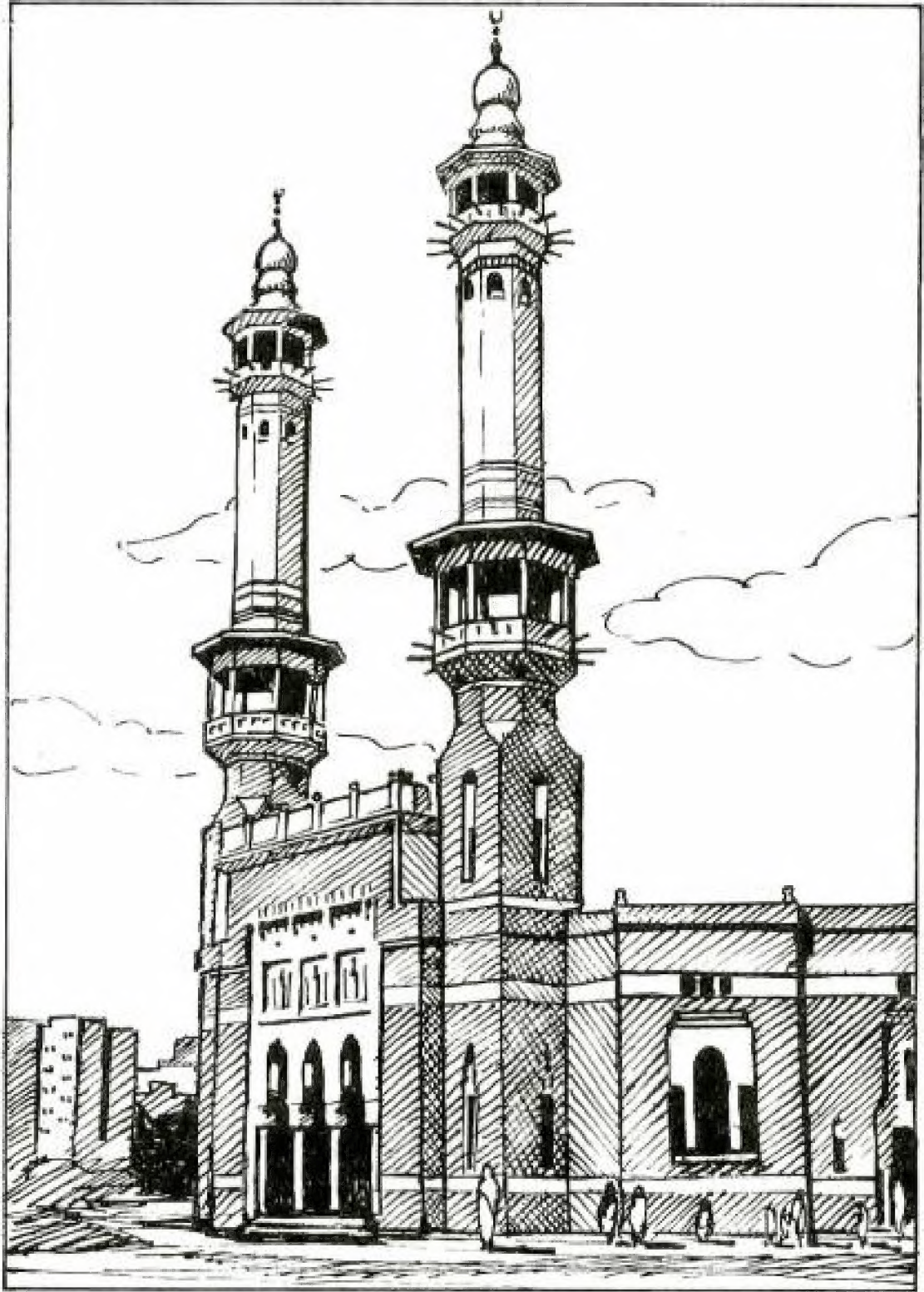


بَعْضُ الْحَاضِرِينَ : مَا الَّذِي يُحْزِنُكَ  
يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهُمْ صِبْيَةٌ لِلْمُشْرِكِينَ ؟  
فَغَضِبَ النَّبِيُّ ، وَقَالَ مَا مَعْنَاهُ : إِنْ هَؤُلَاءِ  
خَيْرٌ مِنْكُمْ . إِنَّهُمْ عَلَى الْفِطْرَةِ  
( الطَّبِيعَةِ ) . فَإِيَّاكُمْ ( أَحْذَرُكُمْ ) وَقَتْلَ  
الْأَوْلَادِ ، إِيَّاكُمْ وَقَتْلَ الْأَوْلَادِ .  
فَالنَّبِيُّ حَذَّرَ مِنْ قَتْلِ الْأَوْلَادِ ، وَكَرَّرَ  
التَّحْذِيرَ ، وَلَوْ كَانُوا مِنْ أَبْنَاءِ غَيْرِ  
الْمُسْلِمِينَ .

وَقَدْ سُئِلَ مَرَّةً أَنْ يَلْعَنَ <sup>(١)</sup> أَعْدَاءَهُ ،  
فَقَالَ : « مَا جِئْتُ لَعَنًا بَلْ رَحْمَةً » .

(١) اللَّعْنُ : الطَّرْدُ وَالْإِبْعَادُ مِنَ الْخَيْرِ .

وَسَمِعَ مَرَّةً أَعْرَابِيًّا يُصَلِّي خَلْفَهُ يَقُولُ :  
اللَّهُمَّ ( يَا اللَّهُ ) اَرْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا ،  
وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا . فَلَمَّا انْتَهَى مِنْ  
الصَّلَاةِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ : « لَقَدْ ضَيَّقْتَ  
وَاسِعًا » . وَكَانَ رَجُلٌ يَمْشِي فِي الطَّرِيقِ ،  
فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ ، فَوَجَدَ بئْرًا ، فَنَزَلَ  
فِيهَا ، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ ، فَرَأَى كَلْبًا  
يُخْرِجُ لِسَانَهُ ، وَيَأْكُلُ التُّرَابَ النَّدِيَّ مِنْ  
شِدَّةِ الْعَطَشِ . فَقَالَ الرَّجُلُ : لَقَدْ  
بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي  
كَانَ بَلَغَ مِنِّي . فَنَزَلَ الرَّجُلُ الْبُئْرَ ،



بَابُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ



فَمَلَأَ خُفَّهُ<sup>(١)</sup> مَاءً ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى  
صَعِدَ مِنَ الْبُئْرِ ، فَسَقَى الْكَلْبَ ، فَشَكَرَ  
اللَّهُ تَعَالَى لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ .

فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَإِنَّ لَنَا فِي  
الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا .

قَالَ : « فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ<sup>(٢)</sup> أَجْرٌ » .  
وَقَالَ أَيْضًا : دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي  
هَرَّةٍ ( بِسَبَبِ قِطَّةٍ ) ، رَبَطَتْهَا ، فَلَمْ  
تُطْعَمْهَا ، وَلَمْ تَدْعُهَا ( تَتْرُكْهَا ) تَأْكُلُ  
مِنْ خَشَاشٍ ( حَشَرَاتٍ ) الْأَرْضِ .

(٢) حَيَوَانٍ أَوْ طَائِرٍ .

(١) نَوْعٌ مِنَ الْأَحْدِيَةِ .

وَقَالَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ  
يَأْخُذُنِي فَيُقْعِدُنِي عَلَى فَخِذِهِ ، وَيُقْعِدُ  
الْحَسَنَ عَلَى فَخِذِهِ الْآخَرَى ، ثُمَّ يَضُمُّنَا  
وَيَقُولُ : « اللَّهُمَّ ( يَا اللَّهُ ) اَرْحَمُهُمَا  
فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا » .

وَقَدْ حَدَّثَ أَنَّ عَجِبَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ  
مِنَ الْمُصْطَفَى وَهُوَ يُقْبَلُ أَوْلَادَهُ وَأَوْلَادَ  
أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ مَرَّةً  
وَقَدْ رَأَاهُ يُقْبَلُ الْحُسَيْنَ : إِنَّ لِي عَشْرَةَ  
أَوْلَادٍ مَا قَبِلْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ قَطُّ . وَاعْتَرَضَ

آخِرُونَ بِمِثْلِ هَذَا الرَّأْيِ عَلَى الرَّحْمَةِ غَيْرِ  
الْمُعْتَادَةِ . وَكَانَ الرَّسُولُ يُنْكِرُ عَلَيْهِمْ أَنْ  
يَكُونُوا غِلَظًا قُسَاةَ الْقُلُوبِ .

وَكَانَ الرَّسُولُ يَعْطِفُ عَلَى الْفُقَرَاءِ  
وَالْمَسَاكِينِ وَالضُّعَفَاءِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

وَقَدْ خَاطَبَهُ الْغُفُورُ الرَّحِيمُ بِقَوْلِهِ :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ

كُنْتَ فِظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ

حَوْلِكَ ﴾ أَيْ تَرَكُوكَ .